

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه دراسة سريعة للشاعر السوداني الشاب ، التيجاني يوسف بشير ، المتوفى سنة ١٩٣٧ ، بعد أن قضى من العمر خمسة وعشرين عاما تقريبا ، ظهر فيها نبوغه ، وخلف لنا مجموعة قيمة من الشعر ، قام على نشرها نقر كرام ، أحسنوا صنعا بإذاعة هذا الشعر على الناس .

وما كاد قسم اللغة العربية بجامعة الخرطوم ، يطلع على هذا الشعر حتى بادر بتقرير دراسته لطلاب كلية الآداب بهذه الجامعة في مقرر الأدب العربي الحديث .

وقصدي من هذه الدراسة السريعة ، أن أعرف قراء العربية بشاعر مجدد ، أرى أنه جدير بأن يتبوأ مكانه بين شعراء العربية المجددين .

وأحب أن أبادر هنا بالإشارة إلى المقصود من كلمة (شاعر مجدد) ، ففي تعريف التجديد في الشعر خلاف بين المحدثين . فيرى بعضهم أن التجديد ظاهرة في كل عصور الأدب (١) . فشعراء العصر الأموي مجددون ، وشعراء العصور العباسية مجددون ، وأمثال شوقي وحافظ والبارودي مجددون ، وأصحاب هذا الرأي يصفون بالتجديد كل شعر يتناول معاني جديدة طرأت في عصر الشاعر ، ويصور آراء سياسية

(١) التجديد في الأدب المصري الحديث للاستاذ عبد الوهاب حموده ص ١٨

واجتماعية نبتت في بيئة الشاعر ، ويصف مظاهر طبيعية خاصة ببلاده .
ونحن نعترض على هذا الرأي . فإن من اليسير على مؤرخ الأدب
العربي أن يلمح بوضوح فرقا بين نوعين من الشعر العربي : نوع
يتناول معظم الشعر العربي منذ الجاهلية حتى القرن التاسع عشر الميلادي ،
ونوع جديد تأثر بمؤثرات الثقافة الغربية الحديثة ، ونشأ بين أدباء الشام
ومصر وغيرها من البلدان . وهو نوع متميز بخصائصه عن النوع الأول
كله . وتستطيع أن تضع الشعر القديم ومن جرى عليه من الشعراء
المحدثين في كفة ، وتضع هذا الشعر الجديد في كفة أخرى .

فإذا جاز أن نسمى أصحاب الطريقة القديمة بمحدثين ، فكيف نسمى
هذه الطائفة الجديدة ، واست بحاجة إلى بيان ما في اقتراح بعضهم تسمية
أصحاب الطريقة القديمة ، بأصحاب التجديد التقليدي ، من تسمية عجبية ،
تجمع بين متناقضين . وكان يكون التعبير أعجب ، لو أنهم جروا مع
القياس ، وليس ذلك عليهم ببعيد ، فسموا الطائفة الجديدة أصحاب
التجديد التقليدي !

ومن البديهي أن يختلف الشعراء بعضهم عن بعض . ومحال أن تكون
نفوس البشر جميعا ، نسخا متشابهة . فإذا جاز أن نعد آثار الشخصية في
الشعر تجديدا ، فهذا ينبغي أن ينسحب على الجاهليين أنفسهم ، إذ كان شعر
كل من الأعشى ، وزهير ، وامرئ القيس ، وعدى بن زيد ، وليد ،
وطرفة ، وغيرهم من شعراء الجاهلية ، قد صدر عن شخصية صاحبه
وتأثر ببيئته وشارك مجتمعه .

فالمسألة أيسر من هذا كله ؛ فليس التأثر بالبيئة ، ولا ظهور الشخصية

فى الشعر . بتجديد على الحقيقة . ولكنه تنوع فى نطاق مجموعة بعينها من الشعر ، أشترك فى صفات عامة ، وتتفق فى خطوط رئيسية ، وتقوم على أصول فنية واحدة .

فإذا أردنا أن نرسم حدودا بين التجديد والتقليد ، فعلىنا أن نأخذ المسألة من بابها : أن نتجه أولا إلى أصول الفن عند هذه الطبقة أو تلك ، لا إلى البيئة ولا إلى الشخصية . فالبيئة والشخصية أمران لا مناص من أثرهما على كل شاعر سواء أكان مجددا أم مقلدا .

وأصول الفن عند أصحاب الطريقة القديمة — أو التقليدية — واحدة لا تكاد تتغير إلا فى أشعار قليلة جدا لبعض الشعراء القدامى . وظل الشعراء على اختلاف بيئاتهم وعصورهم ، ينظمون على هذه الطريقة حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادى ، وظهرت آداب السوريين واللبنانيين ، وهاجر بعضهم إلى أمريكا ومصر وغيرها ، ونشروا أدبا عربيا له طابع يختلف عن القديم إلى حد بعيد ، تأثروا فيه بالثقافة الفرنسية والإنجليزية .

ثم انتشرت طريقة أهل المهجر ، وانتشرت الثقافة الفرنسية والإنجليزية فى الشرق ، وأخذ فريق من أدباء مصر والعراق والسودان ينهلون منها ويحذون حذوها ، ومن بينهم التيجانى . وهذه الطريقة هى التى نخصها بصفة التجديد . لأن أصحابها فارقوا الطريقة المألوفة ، وأقاموا الشعر على أصول فنية لم تكن — غالبا — معروفة لدى القدماء والذين لغوا لفهم .

فالمجددون بحق هم هؤلاء الذين تأثروا بالأدب الغربى فى اتجاههم الفنى تأثرا واضحا . فلم يكن شوقى ولا حافظ ولا البارودى ولا صبرى

مجددين بهذا المعنى . وهم وإن كان لكل طابع وشخصية فقد جروا على الطريقة التقليدية في أغلب ما أثر عنهم .

والشعراء المجددون ، كالشعراء المقلدين ، فيهم الكبير والشعروور ، والمجيد والمتهافت ، والمتمكن من العربية ، وضعيف الإلمام بها . فليس من الانصاف في شيء . أن نرمى هذه الطبقة أو تلك ، دون الأخرى ، بالعيب والقصور .

ولعل شعر التيجاني الخاص بالجمال ، مثل واضح على الشعر الجديد . وسرى في فنه أهم الصفات العامة التي تتميز بها طريقة المجددين .

وأخيرا أحب أن أقرر منذ الآن أنني قصدت في هذا البحث إلى دراسة جانب واحد من شعر التيجاني : هو الشعر الذي تغنى فيه بالجمال . تم خصائص هذا الشعر الفنية .